القيم الأخلاقية بين الثبات و التغير

مقدمة

I- معنى القيمة الأخلاقية

II- أساس القيمة الأخلاقية

التطبيقات

أسئلة التقويم الذاتي

أجوبة أسئلة التقويم الذاتي

www.eddirasa.com

مقدمة

هل الأخلاق مبادئ أو معاملات؟ فإذا كانت مبادئ فهي إذن قواعد ثابتة؛ وإذا كانت مجرد معاملات، فإنها لا تعد أن تكون سلوكات تختلف باختلاف الحضارات والشعوب وبتغير الأسر والأشخاص. مهما كان المستوى الذي نتحدث فيه، فإننا نتساءل عما هو الاساس المناسب الذي نقيم عليه الأخلاق: فهل هو أساس مطلق يتحدى الزمان والمكان وتقلبات الأيام، أو هو أساس يسير مع تحولات الحياة الاجتماعية والعلمية؟ فكيف نحصن ثوابتنا العلمية أمام عالم لا يتوقف عن التغيرات؟ ففي أي موقع نضع مثلا حقوقنا وواجباتنا وما يترتب عنها من فضيلة العدل؟ وهل مسايرتنا للعالم في الاقتصاد الحر وحرية الكلمة كفيلة بضمان كرامتنا وصيانة شخصيتنا ووضوح مصيرنا؟.

أمثلة:

الوضعيات	التفسير العقلي	التفسير الحسي	التبرير
الخير	أمامنا وضعيات تمثل	إن الخير والشر	صحيح أن للعقل دور
الإخلاص	قيما ففي نظر	يتخذان صورا	في توجيه سلوكنا ولكن
الوفاء	الحدسيين والعقليين،	مختلفة تبعا لعمر	لا يمكن أن نعيد كل
الحق	مستقلة عن الوقائع	الإنسان. إذ أن	شيء صحيح إلى
الصدق	الطبيعية والناس	تصور الطفل	المنطق بل هناك
الصداقة	ومتعالية عليهم.	لدلالات الخير	سلوكات تصدر عن
الفضيلة	"فهي كيان مثالي،	والشر مختلفة عن	أهوائنا وتبعا لميولنا
التضحية	ثابت شبيه بالمفاهيم	تصور الراشد لها.	دون أن يقوم العقل
الواجب	الرياضية، فهي فوقنا	وكذلك نجد تنوع	بدور فيها ومن هنا لا
العدل	تفرض نفسها علينا	الثقافات يتبع أيضا	يمكن أن نقول أن كل
الطاعة	ولا يمكننا أن نتحايل	تنوع في القيم	سلوك أخلاقي يعود إلى
السعادة	عليها، فهي مستقلة	وشتات بين حضارة	العقل.
الشجاعة	عن شخصيتنا.	وأخرى من اختلاف	ـــ أما عن أخلاق كانط
الصمود	ـــ وكل عمل فني أو	في القيم ومدى	فهي شكلية وبعيدة عن
	علمي أو اجتماعي لا	حرص كل مجتمع	الواقع. فهو غالبا ما

www.edurasa.com

	يظهر لنا إلا إذا كان أساسه القيمة. ولعل هذا ما جعل الكثير من الفلاسفة يؤمنون بمطلقية القيم. ـــ ويعتبر كانط من أكبر الفلاسفة الذين اهتموا بأخلاق العقل. وكتابه " تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق" أهم مرجع نعود إليه كتلاميذ نستسقي ما يهمنا.	من بلد إلى آخر الحافظة على قيمه. وكذا البيئة الطبيعية والاجتماعية تلعب دورها في ابراز أشكال متنوعة من السلوك. وهو ما يثبت بالضرورة نسبية القيم. ابتداء من النمو الشخصي إلى المحيط الثقافي والاجتماعي الطبيعي.	يركز على الإرادة الطيبة التي لا ياتي من ورائها أي نفع. أما عن نسبية القيم فكيف للإنسان أن يتمسك بقيم يعلم أنها متغيرة؟ ـــ إن شكل الخير والشر هو واحد بالنسبة لجميع الأمم إلى جانب القيم المتغيرة توجد قيم ثابتة وشاملة.

www.edarasa.com

الملاحظات:

I- معنى القيمة الأخلاقية :

إذا كنا في المنطق نقول عن فكرة أنها صحيحة أو خاطئة استنادا إلى معايير و قواعد عقلية منطقية ، فإننا قد نستحسن سلوكا أو نستقبح سلوكا آخر بالرجوع إلى معايير تسمى القيم الأخلاقية. و القيمة بصفة عامة هي صفة الشيء المعتبر أنه قابل للرغبة فيه، سواء تعلق الأمر بالقيم المنطقية أو الجمالية أو الاقتصادية أو الأخلاقية...أما الأخلاقية منها فيمكن تعريفها :

" صفة الفعل التي تجعله خيرا" أو هي « ما يدل عليه لفظ الخير»

على خلاف الأنواع الأخرى من القيم، تتصف القيمة الأخلاقية بما يلي :

- التعالي : إن القيمة الأخلاقية مثالية و متعالية عن الواقع، لأن الواقع يعبر عما هو كائن أما القيمة فهي تعبر عما يجب أن يكون.
- الإبطانية : إن القيمة الأخلاقية موضع حبنا و تضحيتنا لأنها نابعة من الشعور أو الضمير.
- التدريجية : إن القيم الأخلاقية كلها خيرة، لكنها ليست على درجة متساوية من الأهمية ، فالتضحية في سبيل الوطن أولى من التضحية في سبيل الأسرة.
- المجموعية: إن القيمة الأخلاقية لا تكون كذلك بالنسبة لفرد واحد معين بل بالنسبة لجميع الأفراد الآخرين

II- أساس القيمة الأخلاقية

أيها الدارس... إذا تأملت جيدا في القيم الإخلاقية من مجتمع إلى آخر تجد ما يلي :

- فمن جهة توجد أفعال مستحسنة من قبل جل المجتمعات كالتعاون

و الشجاعة و الإخلاص...و أخرى مستقبحة منها كالسرقة و الإعتداء...

- و من جهة أخرى فهناك أفعال مستحسنة في مجتمع ، و مستقبحة في مجتمع آخر، فالزنا يعتبر جريمة فحشاء في مجتمع إسلامي، و سلوك عادي في بعض المجتمعات الإباحية. على ماذا يدل ذلك؟ هل هذا يعني أن القيم الأخلاقية متغيرة و نسبية و بالتالي فهي تختلف من مجتمع إلى آخر، فلا تعود قيم حقيقية و إنما مجرد معاملات يومية؟ أم أنها على خلاف ذلك، تكون ثابتة و مطلقة، و تبقى في هذه الحالة قيم منزهة و متعالية على كل تغير يطرأ على المجتمع؟

تلك هي الإشكالية الكبرى في الأخلاق.

www.edudiasa.com

الاتجاه الأول : المذهب العقلي : القيم الأخلاقية ثابتة و مطلقة.

1- يرى أفلاطون و سقراط أن العقل وحده هو الذي يطلعنا على الخير، يكفي أن يحكم الإنسان جيدا ليتصرف جيداً، و يتجلى ذلك في القول الشهير: "الفضيلة هي المعرفة". فالقيم الأخلاقية مصدرها عالم المثل و هي بذلك متعالية و مطلقة.

2- و قد ذهب ديكارت إلى أن العقل بديهية ثابتة لا يتأثر بالزمان و المكان و لا يتغير بتغيرهما. و ما دام الأمر كذلك، و ما دامت القيم صادرة عن العقل فهي بالتأكيد متعالية عن أي تغير عبر الزمان و المكان.

3- إيمانويل كانط E.Kant

يعتبر مذهبه الأخلاقي هو أشهر المذاهب الأخلاقية على الإطلاق،

يرى كانط أن العلم يقوم على قوانين تتسم بطابع الكلية والضرورة الصادران من العقل: فكذلك الأخلاق يمكن تأسيسها على هذا النمط من المبادئ. ومن هنا تبدأ فلسفة كانط الأخلاقية، ويظهر كتاب تأسيس ميثافيزيا الأخلاق معبرا عن فلسفته الأخلاقية، ففي المقدمة يقول: "أليس من قبيل الضرورة القصوى أن نصوغ فلسفة خلقية خالصة من كل ما يتصل بالتجربة .

ميز كانط بين : - **العقل النظري**، و هو الذي ينظم معطيات التجربة

و يدرك بالإستدلال فوظيفته إذن هي **الجواب على ما ينبغي أن نعرف.**

- **العقل العملي** ، و هو الذي يحكم بالبداهة و يسلم بحقائق الأمور بدون استدلال فوظيفته **الجواب على ما ينبغي أن نعمل.** و مادام العقل العملي يبين لنا ما ينبغي أن نعمل فهو إذن نفسه الضمير الأخلاقي.

و مادام يدرك بالبداهة ، فهو إذن فطري، و بالتالي مشترك بين الناس،

و سابق على التجربة ، و لا يتأثر بالعاطفة و لا بالمجتمع : إنه عقل خالص.

و بما أن العقل العملي هو نفسه الضمير، فهو إذن مصدر القيم الأخلاقية.

و من هنا فإن القيم الإخلاقية صادرة عن العقل ، فتكون عندئذ فطرية، مشتركة، سابقة على التجربة، و لا تتأثر بالمجتمع و لا بالعاطفة ما عدا عاطفة احترام القانون الأخلاقي.

عندما يصدر العقل العملي أوامره باحترام القيم الأخلاقية، تستجيب له الإرادة الطيبة أو الخيرة. إن الإرادة الخيرة هي الخير الوحيد في هذا العالم عند كانط، لأنها تعمل بدافع القانون الأخلاقي لا طبقا للقانون الأخلاقي فقط. فقد يكون الفعل الصادر من لإنسان مطابقا للقيمة الأخلاقية، لكنه ليس خيرا، لأن الدافع إليه ليس احترام القيمة الأخلاقية و إنما تحقيق أغراض أخرى: مثل الشخص الذي يتسامح مع الناس لا حبا في التسامح و لكن لتحقيق أغراض أخرى.

و هكذا جعل كانط القيمة الأخلاقية الحقيقية فوق كل مصلحة أو منفعة ،

و جعل الفعل الأخلاقي مرغوبا فيه لذاته لا لغيره.

www.edurasa.com

* **نقد** : بالرغم من قوة حجج كانط في فلسفته النقدية و في مذهبه الأخلاقي، فمع ذلك وجهت له عدة الانتقادات من بينها :

– لقد بالغ كانط في تجريد الأخلاق و "عقلنتها" ، متجاهلا بذلك دور العواطف النبيلة في الحث على فعل الخير.

– إن الأخلاق الكانطية لا تراعي تأثير الوسط الاجتماعي و التجربة اليومية و دور الاكتساب و الممارسة في نشأة الضمير الأخلاقي.

– اعتبر كانط أن خيرية الفعل لا تكمن سوى في الإرادة (النية) التي تحركه، غير أننا لا يمكن أن نهتم فقط بالإرادة و نتجاهل نتائج الأفعال. فقد يرتكب الشخص مخالفات أخلاقية بحجة "إرادته" الخيرة.

الاتجاه الثاني : القيم الأخلاقية نسبية و متغيرة

1– المذهب التجريبي:

ينطلق المذهب التجريبي من مبدأ أن الإنسان يولد و هو لا يعرف شيئا، بل كل ما يعرفه ناتج عن معطيات التجربة الحسية. قال جون لوك " الإنسان يولد صفحة بيضاء".

– يرى دافيد هيوم David Hume أن التجربة اليومية تعلمنا أن ما هو صالح يلائمنا، و أن ما هو طالح ينافينا. عندئذ تصبح الأفعال الصالحة خيرة،

و الأفعال الطالحة شريرة. و هكذا فإن التجربة اليومية هي مصدر القيم الأخلاقية. قال هيوم : " التجربة الحسية اليومية هي مصدر الضمير الأخلاقي و القيم الأخلاقية".

– و قد ذهب هربرت سبنسر Herbert Spencer إلى أن الأفعال الخيرية تستحسن و تمثل الخير و الأفعال الضارة تستنكر و تمثل الشر. و بالتدريج تصبح الأولى مقدسة لتكون قيما أخلاقية ثم تورث عبر الأجيال. و هكذا فإن القيم الأخلاقية تابعة لتطور طويل مر به الجنس البشري.

– أما جون استيوارت مـل فهو يرى أن الشعور بالخير يعود إلى التربية ، ففكرة السرقة و الكذب مرتبطة بالشر و فكرة الفضيلة مرتبطة بالخير،

و بالتكرار تغدو هذه المعاملات أفكارا عفوية في النفس.

– كما اعتبر جيريمي بنتام Jeremy Bentam – الذي اشتهر بمذهب المنفعة– إلى أن الطبيعة البشرية هي التي توجه السلوك الأخلاقي، و لما كانت هذه الطبيعة تدفع الإنسان إلى البحث عن اللذة و المنفعة، فإن تحقيق أكبر قدر من اللذات هو الخير النفعي الذي تقاس به كل قيمة أخلاقية. و هكذا على سبيل المثال فإن الإحسان إلى الشخص يكسب مشروعيته بما يترتب عليه من منفعة لي.

2– و قد ذهب الفلاسفة الماديون – خاصة الماركسيين– إلى أن القيم الأخلاقية ليست مطلقة ، بل هي نسبية و متغيرة لأنها تابعة للشروط الاقتصادية التي تتحكم في كل شيء. فالأخلاق – في نظر إنجلز

www.edurasa.com

Engels– تعكس وضعية البنية التحتية أي العلاقات الاقتصادية في المجتمع و بالذات صراع الطبقات.
و على سبيل المثا،ل إن الصبر و الشفقة و التعاون
و القناعة.. هي قيم ابتكرها الأغنياء لتمكنهم من استغلال الفقراء.

3– و يرى أنصار النظرية الاجتماعية أن القيم الأخلاقية ليست فطرية

و ليست فردية، بل هي نابعة من الوسط الاجتماعي للفرد. فالمجتمع حقيقة تتجاوز إرادة الأفراد، و يمارس قهرا و إكراها عليهم بصفة مستمرة، إلى أن يصبح ضمير الفرد انعكاسا لضمير الجماعة ، و عندئذ ما يستحسن الفرد الأفعال التي يستحسنها المجتمع و يستقبح الأفعال التي يستقبحها المجتمع. قال العالم الاجتماعي الفرنسي إميل دوركايم E. Durcheim حينما يتكلم حينما يتكلم الضمير فإن المجتمع كله يتكلم فينا ".

النقد :

– يرد على أنصار النظرية التجريبية بأن التجربة تعبر عما هو كائن في الواقع، أما القيم الأخلاقية فهي تعبر عما يجب أن يكون و لذلك فيجب أن تكون متعالية على التجربة .

– إن ربط الأخلاق بالمنفعة أمر خطير، لأنها دعوة لحلول الأنانية محل الغيرية، و لذلك فإن أخلاق بنتام أقرب إلى المتجارة منها إلى الأخلاق الحقيقية.

– و تتجلى هذه الخطورة كذلك في صيغة المبدأ النفعي الذي يقول : " من طبيعة الإنسان أن يفعل كذا"، و هو امر يتنافى تماما مع مبدأ الأخلاق القائل "يجب على الإنسان أن يفعل كذا ".

– كما أن إخضاع القيم الأخلاقية إلى الشروط الاقتصادية نابع من نظرة مادية للحياة و للإنسان، لكن الإنسان روح و مادة ، بل الأخلاق تدعوه إلى تغليب الجانب الروحي على الجانب المادي.

– أما عن تأثير المجتمع، فلا يمكن أن نعتبر أن كل أوامر المجتمع هي قيم أخلاقية حقيقية، بل و في بعض الأحيان تكون متنافية معها. ألم تكن ظاهرة وأد البنات ظاهرة اجتماعية عادية في المجتمع الجاهلي؟

النتيجة :

الإنسان كل متكامل ولا يمكن بناء أخلاقه على العقل وحده أو العاطفة لوحدها ... غير أنه في جميع الأحوا،ل و حتى تكون القيم الأخلاقية منزهة عن شوائب الحس أو مطامع المنفعة، ينبغي أن تتمتع بنوع من الثبات و التعالي و التقديس. و الأمر كذلك حسب ما يبدو، فقد كانت ظاهرة العبودية ظاهرة سائدة في وقت سابق و أصبحت ممقوتة في العصور الحديثة، لكن هذا لا يعني أنها كانت أخلاقية ثم أصبحت لاأخلاقية ، بل كانت لاأخلاقية

www.edurasa.com

و مستنكرة حتى في وقت وجودها لأنها تتنافى و كرامة الإنسان و مع مقتضيات الفطرة السليمة. و عليه، فإن انتشار معاملات معينة في وقت ما
و في مجتمع ما ، و اختفائها في فترة أخرى لا يدل بتاتا على أنها لاأخلاقية.
إن أكثر ما يهدد الأخلاق هو جعلها تابعة للواقع، و المطلوب هو جعل الواقع تابعا لها. فالقوانين قابلة للتغيير أما روح القوانين – أي القيم الأخلاقية – فينبغي أن تبقى المرجع الدائم لها.

التطبيقات:

التطبيق رقم 1

الوضعيات	التفسيرالعقلي	التفسير الحسي	التبرير
المساواة			
العدل			
الجور			
الظلم			
التضامن			

التطبيق رقم 2

الوضعيات	التفسيرالعقلي	التفسير الحسي	التبرير
الحسن			
النية			
الوطنية			
الإخلاص			
الشجاعة			

االتطبيق رقم 3

الوضعيات	التفسيرالعقلي	التفسير الحسي	التبرير
الفضيلة			
الرذيلة			
الخير			
الشر			
الضيافة			

www.eldirasa.com

التطبيق رقم 4

الوضعيات	التفسيرالعقلي	التفسير الحسي	التبرير
النبل			
الجزاء			
حميد			
التسامح			
العنف			

التطبيق رقم 5

الرقم	الوضعيات	التفسيرالعقلي	التفسير الحسي	التبرير
1	الرحمة			
2	الشفقة			
3	الواجب			
4	الإكراه			
5	الصالح			

تمرين:

حاول أن تبني ثلاثة جداول للتصنيف التالي للقيم:

. الإنسان في العالم (اقتصادية)

. الإنسان أمام العالم (اجتماعية)

. الإنسان فوق العالم (مثالية)

www.edirasa.com

أسئلة التقويم الذاتي

الموضع الأول – تصميم مقالة

نص السؤال: إن الأخلاق التي لا يهذبها العلم تؤدي إلى تصارع الأمم، كما أن العلم الذي لا يخضع للأخلاق يؤدي إلى سيطرة أقلية من الناس على الأكثرية منهم. ما رأيك؟

الموضوع الثاني– تحليل نص

فكرة القيمة

... وهذا أيضا هو السبب الذي من أجله تتعرض فكرة القيمة للشك. إذ هي فيما يبدو ذاتية بصفة معضلة . فهي تعبر عما يفضله الفرد، وهي تختلف حسب الزمان والمكان، وتفلت من أي معيار. إنها نوع من اضفاء حساسيتنا على الأشياء. لكن الجسم هو الذي يوشك دائما أن يتغلب من خلال الحساسية. أفليست خاصية الفلسفة هي أن تتجه اتجاها معاكسا؟ انها تقمع فينا الذاتية ، وتحرر الفرد من مغارة التخمين التي يبدو أن القيمة تسجنه فيها. إنها الطموح إلى الكلي. فهي ترفض كل نوع من خضوع الفكر للزمان وللمكان وللعطف وللجسم. انها حياة الفكر الذي يطلب الحقيقة لا القيمة. هذا هو المفهوم الذي غالبا ما نكونه عن الفلسفة والذي يقع خلطه عندئذ مع ضرب من ضروب النزعة الذهنية . وإذا ما وقع الاحتجاج بأن الحقيقة في هذه الحالة تصبح هي القيمة العليا فانه يرد على ذلك بأن هذا تلاعب بالألفاظ ، إذ أن الحقيقة تبقى على ما هي عليه حتى لو كانت رهيبة ومحزنة وحتى لو لم يكن بالامكان الا مقتها.

لوي لافيل

المطلوب : أكتب مقالا فلسفيا تعالج فيه مضمون النص.

www.edurasa.com

جواب أسئلة التقويم الذاتي

الموضوع الأول – تصميم مقالة

المقدمة: للأخلاق مواصفاتها كما أن للعلم مواصفاته. فالأخلاق معيارية غايتها ما ينبغي أن يكون، بينما العلم موضوعي هدفه معرفة ما هو كائن. لكن أليس بينهما تأثير متباد؟ل و كيف ينبغي أن يكون هذا التأثير؟

التحليل :

1- الأخلاق التي لا يهذبها العلم تؤدي إلى تصارع الأمم

. اختلاف القيم ظهر فيها تعصب بعض الأمم والتمسك بقيم ظلت تدافع عنها وتحاول أن تفرضها على غيرها. فأدى ذلك إلى كثير من الحروب
و الصراعات.

. غياب الروح الموضوعية – و هي صفة العلم- و طغيان الذاتية، أدى إلى اختلاف الأمم و الشعوب في تصورها للقيم و الأخلاق و إلى ما يجب أن يكون، فاشتدت نزعة الشعور بالتفوق و العنصرية و الغلبة.

– إن العلم من شأنه أن يقرب وجهات النظر حول كثير من القضايا لأنه يطلب الحقيقة لذاتها، تلك الحقيقة التي تتفق و لا أن تتنازع عليها العقول

2- العلم بدون أخلاق يؤدي إلى الطغيان و السيطرة

– إن العلم سلاح ذو حدين، ذلك أن تطبيقاته تصبح مرعبة و مخيفة إذا لم تقيدها الأخلاق (صناعة الأسلحة المدمرة للبشرية).

– إن الدول التي تحتكر المعرفة العلمية و الخبرة التكنولوجية تستغلها في الاستغلال الاقتصادي للشعوب الفقيرة و المغلوبة على أمرها، كما هو الشأن الآن في نظام العولمة. بل هذا الاستغلال يمتد إلى المجال الثقافي، فينشأ عنه استيلاب قد يجرد الشعوب المتخلفة من قيمها و شخصيتها الثقافية و الحضارية.

– و ما دام الأمر كذلك، فالعلم و تطبيقاته في حاجة إلى توجيه أخلاقي ، حتى يكون أداة ترقية، لا أداة تدمير و استغلال .

الاستنتاج:

إن العلم سلاح الاخلاق ، و التقيد بالقيم الأخلاقية يرشد العلم. فلا غنى للعلم عن الأخلاق، و لا للأخلاق عن العلم.

www.edarasa.com

الموضوع الثاني- تحليل النص

المشكلة : إذا كانت القيمة صفة الشيء الذي تجعله مرغوبا، فهل لهذه القيمة وجود موضوعي أم أنها ذاتية ؟ بعبارة أخرى هل يمكن اتفاق العقول على ما معايير الخير و الشر و الجمال و القبح و الصالح و الطالح...؟

الموقف :

يرى الكاتب أن القيم – أيا كان نوعها – ذاتية و نسبية و بالتالي لا يمكن وصفها بالموضوعية.

الحجج:

– إن القيم تابعة لحساسية الأفراد التي تجعلهم يفضلون هذا أو ذاك الشيء على الآخر، و من ثم لا يتفق الناس على معيار واحد لتحديد قيمة الأشياء أو الأفعال.

– إن العقل البشري عندما يبقى سجين البحث عن القيم، فهو لا يلقى الاتفاق و الموضوعية في الأحكام، و لهذا كان التفلسف أحد السبل التي تحرر العقل من ذلك لترتفع به إلى ما هو أعلى أي إلى الحقيقة .

– إن الحقيقة مترفعة عن القيم لأنها تطلب لذاتها ، و ليس لما ينجر عنها من آثار نافعة، و لذلك فهي تبقى حقيقة أيا كان موقفنا منها.

نقد:

– إن وصف القيم بالنسبية و الذاتية المطلقة أمر مبالغ فيه، إذ في هذه الحالة لا يعود هناك اتفاق على ما هو نافع و ضار أخلاقيا و اقتصاديا و اجتماعيا، فكيف يمكن أن تحدد قيمة الماارسات و الأفعال في هذه الحالة؟

– لا يمكن وصف الحقيقة بأنها خالية من أي قيمة ، و الدليل على ذلك أن الفلاسفة يختلفون في تحديد معيار الحقيقة.

الاستنتاج :

حتى يكون اتفاق أدنى على قيمة الأفعال أو الأشياء، ينبغي أن تتحرر تصوراتنا من تأثير الدوافع الحسية و الانفعالية.

www.edirasa.com

تدرب أيها الدارس ...

الموضوع – تصميم مقالة

الأخلاق واحدة في أهدافها متعددة في مذاهبها. لماذا؟